مجلة الذكوات البيض المحكمة

الذكوات البيض

اسم مشتق من الذكوة وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب{عليه السلام}

شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها

موضع قبر علي بن أبي طالب {عليه السلام}

من الدراري المضيئة

{در النجف}فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزهاعن الأرض.وفي رواية إنّها موضع خلوته أو إنّها موضع عبادته وفي رواية أخرى في رواية المفضل عن الإمام الصادق {عليه السلام}قال: قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال:يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

تُعنى بالبحوث والدراسات الإنسانية والفكرية والاجتماعية
تصدر عن دائرة البحوث والدراسات
ديوان الوقف الشيعي

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education & Scientific Research
Research & Development Department

No.:
Date:

الرقم:
التاريخ:

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم ١٠٤٦ والمؤرخ ٢٠٢١/ ١٢/٢٨ والملحقاً بكتابنا المرقم ب ت ٥٧٤٤/٤ في ٢٠٢١/٩/٦ ، والمتضمن أستحداث مجلتكم التي تصدر عن الوقف المذكورة أعلاه ، وبعد الحصول على الرقم المعياري الدولي المطبوع وانشاء موقع الكتروني للمجلة تعتبر الموافقة الواردة في كتابنا أعلاه موافقة نهائية على أستحداث المجلة.

... مع وافر التقدير

أ.م.د. حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١/١٧

نسخة منه الى:
- قسم الشؤون العلمية / شعبة التأليف والنشر والترجمة / مع الاوليات.
- الصادرة.

مهند ابراهيم
١٠ / كانون الثاني

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٨)المجلد الثاني
رمضان ١٤٤٧ هـ آذار٢٠٢٦م

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

رقم الإيداع في دار الكتب والو ثائق (١١٢٥)

الرقم المعياري الدولي ISSN 2786-1763

عمار موسى طاهر الموسوي
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش

هيأة التحرير من خارج العراق
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقانى / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

الذكوات البيض

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

الذكوات البيض

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار ٢٠٢٦م

العنوان الموقعي
مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات
الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN ١٧٦٣-٢٧٨٦
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١

البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.

٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

أ. عنوان البحث باللغة العربية .

ب . اسم الباحث باللغة العربي، ودرجته العلمية وشهادته.

ت . بريد الباحث الإلكتروني.

ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.

ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.

٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزَّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجِدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.

٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).

٥ . يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA

٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجُور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.

٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.

٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.

ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)

أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .

٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.

١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .

١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.

١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.

١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.

١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.

١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.

١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.

١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.

١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.

١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.

٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.

٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)

أو البريد الإلكترونيّ:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة

٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن
دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

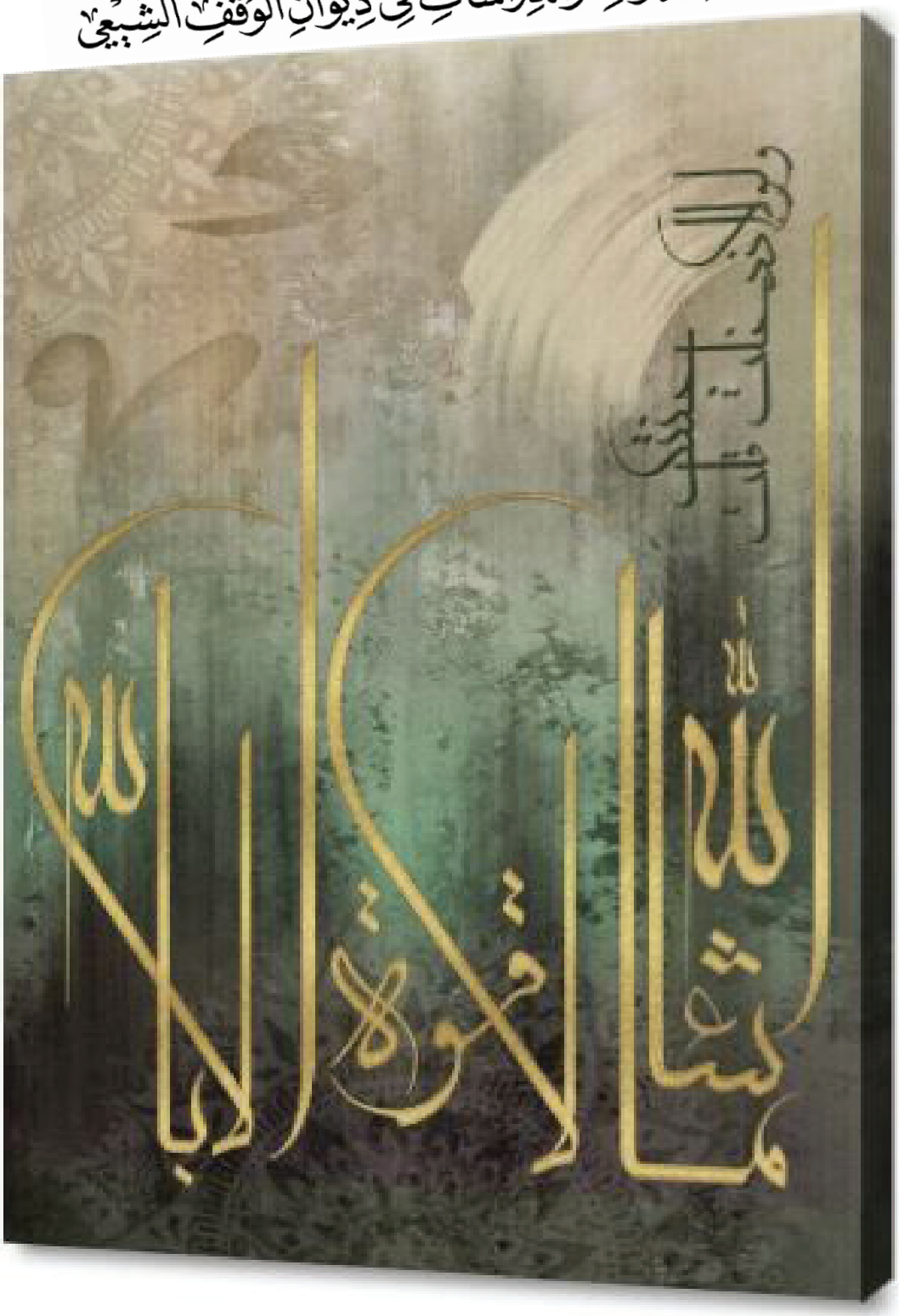

محتوى العدد (١٨) المجلد الثاني

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
١	الإعجاز القرآني في ضوء استنباطات بديع الزمان النورسي	أ. د . حيدر عبد العزيز إسماعيل	١٠
٢	فِقْه الذَّكاء الاصطناعي في ضوء المقاصد الشَّرعيَّة دراسة تأصيليَّة ورؤية فقهيَّة	أ.م. د. منال خليل سلمان	٢٨
٣	الآراء الفقهية لابن عاشور في باب الصلاة من خلال تفسيره التحرير والتنوير / دراسة مقارنة	أ.م. د. أحمد ضياء الدين شاكر	٤٠
٤	الوسطية والاعتدال في العبادات في الكتب الستة«دراسة موضوعية»	م. د. كيلان محمد فاتح	٥٤
٥	تحقيق المخطوطات ودورها في إثراء المكتبات وإحياء التراث الإسلامي	م. د. هند سعدون لفتة	٧٠
٦	من الفقه السلطاني إلى التدبير المدني تأصيل شرعي لإدارة الاختلاف الديني والمذهبي في الدولة المعاصرة دراسة تأصيلية	م. د. عبد المنعم خلف ياس	٨٠
٧	أَعلَامُ الكَاظميَّةُ في عيونِ شعراءِ الحِلَّة«دراسة في الأساليب النحوية»	م. د. حَيدَر مُحَمَّد عُبَيد	٩٤
٨	الموقف الكلامي من العلم التجريبي في ضوء تحديات الإلحاد العلمي الحديث	م. د. شهد مناف عباس	١١٠
٩	فاعلية استراتيجية الجدول الذاتي في الاستيعاب القرائي لدى طلاب الصف الخامس الادبي وتنمية التفكير الابداعي لديهم	م. د. محمود أسعد طه	١٢٨
١٠	أثر قاعدة الضرر يزال في تحقيق مقاصد الشريعة دراسة فقهية تأصيلية تطبيقية	م. د. عمار منصورعبد النبي	١٤٨
١١	آليات الاعلامية في قصيدة آية الله محمد حسين الاصفهاني بحق الحسين(عليه السلام)	م. د. حيدر لطيف حسين.	١٦٤
١٢	الأهمية الاستراتيجية لمضيق هرمزدراسة في الوثائق الأمريكية١٩٧٩ – ١٩٧٨	م. د. عقيل زاهر سلمان	١٨٠
١٣	حضانة الطفل دراسة مقارنة بين فقه اهل البيت(عليهم السلام) والفقه الحنفي	م. م. علاء عبد الزهرة فرحان	١٩٦
١٤	السيدة فاطمة بنت أسد عليها السلام	م. حسين علاوي حاجي	٢١٢
١٥	تجلّيات الطبيعة في شعر عبد العظيم فنجان	م. م. عيدان عبد الله مضحي	٢٢٠
١٦	الأساليب اللغوية والصور البلاغية في شعر عوف بن عطية الخرع	م. م. خليل ابراهيم عبد الله	٢٣٠
١٧	المرأة في بيت النبوة «دراسة في اخلاق نساء النبي(صلى الله عليه وآله) وأدوارهن»	م. م. رسل مجيد حميد عبيد	٢٤٤
١٨	التطور التاريخي والسياسي لإرتيريا (١٨٩٠–١٩٩٣) من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال	م.د. هدى جمعة زياد	٢٦٢
١٩	دور الصحافة المستقلة في تحول المشهد الإعلامي والسياسي العربيين تعزيز المساءلة ومواجهة التحديات	م. م. سنان عارف جاسم	٢٨٢
٢٠	اللغة العربية الموحدة في كتب فقه اللغة	م. م. عقيل عودة حسان	٢٩٤
٢١	تحليل كتاب اللغة العربية للصف الأول المتوسط وفق نموذج بوسنر	م. م. قتيبة أحمد إبراهيم	٣٠٨
٢٢	الهيكل العمري للسكان في محافظة كربلاء وآثاره على التخطيط المحلي «مقال مراجعة»	م. م. نور الهدى ناظم محمد	٣١٨
٢٣	الخطاب الواصف للعنف في رواية «ملوك الرمال»	م. د. عروبة جبار أصواب الله	٣٢٤
٢٤	قراءة لسانية تداولية لظاهرة التفكك الإحالي في الشعر العربي المعاصر «مقال مراجعة»	م. م. رانيه علي منعم	٣٤٠

محتوى العدد (١٨) المجلد الثاني

ت	عنوانات البحوث	اسم الباحث	ص
٢٥	الاستدراج في شعر البوصيري	م. م. رنده صالح كامل	٣٤٦
٢٦	العدول من الأفصح إلى الفصيح في القراءات القرآنيَّة ومآلته الدلالية	م. م. محمَّد غريب عمران	٣٥٤
٢٧	العنف الرمزي في الشعر الجاهلي «دراسة تحليلية في تمثلاته لدى شعراء مختارين»	م. م. ميسون جحف عبد الكريم	٣٦٤
٢٨	المكان في قصص حسين محمد شريف القصيرة	م. م. نجلاء عباس ثامر أ. د. محمد قاسم لعيبي	٣٧٦
٢٩	استراتيجية تدريس مقترحة قائمة على خرائط التفكير الإلكترونية وقياس فاعليتها في مهارات استشراف المستقبل في مادة الفيزياء لدى طالبات الصف الثاني المتوسط	م. م. اسيل رجب صالح أ. د .عباس جواد عبد الكاظم	٣٩٠
٣٠	العلاقات العامة في الإعلام الجديد: تحديات الفرص في منصات التواصل الاجتماعي	م. م. مثنى هاني أحمد	٤٠٨
٣١	أثر استراتيجية البنتاكرام في تنمية التفكير الإبداعي لدى طلبة الصف الخامس الأدبي في مادة التاريخ	م. م. نادية حسن محمد م. م. مصطفى فاضل عباس	٤٢٤
٣٢	النمذجة الخرائطية للفيضانات الناتجة عن تغير تصريف نهر دجلة في محافظة صلاح الدين	أ.م. د. سماح نوري فاضل	٤٤٢
٣٣	الإطار القانوني لمكافحة الفساد الإداري في المؤسسات التعليمية دراسة حالة وزارة التربية والتعليم	الباحث:عامر حسيب عباس	٤٥٨
٣٤	دور القوامة في ضبط التوازن الاسري «دراسة فقهيّة مقاصديّة»	أسراء مهند كامل الهيتي	٤٧٤
٣٥	The Impact of Exploratory Practice on Improving Speaking Skills among Iraqi EFL Learners	Asst. lect. Karrar Ahmed Sahib	٤٩٠
٣٦	السياسة البريطانية تجاه الحركة الوطنية في مصر ١٨٨٢–١٩١٤ (مقال مراجعة)	م.م. سارة كمال جسام	٥١٢
٣٧	أبعاد التزكية وآثارها في النفس والمجتمع : دراسة موضوعيةفي ضوء المفهوم القرآني	م.د اسراء ديوان قاسم	٥٢٠
٣٨	تقييم مكونات رأس المال الهيكلي في الرسائل الجامعية (الدبلوم العالي) بقسم علم المعلومات والمكتبات بجامعة البصرة	م. م. أخلاص عبدالامير سوادي	٥٣٨
٣٩	Five Approaches Used in TeachinEnglish Language in Iraq	HIND FAROOQ ALI ALHASAN	٥٧٦
٤٠	أثر الصراعات السياسية في تفكك الدولة الإسلامية الدولة العباسية أنموذجاً دراسة تحليلية تاريخية	م. م. فخري شكر محمود	٥٩٤
٤١	الاحتمالات الإعرابية آلات حجاجيّة في توجيه معاني النصوص القرآنية«مقال مراجعة»	م. م. أحمد صلاح سعدون	٦٠٦
٤٢	أهمية مراعاة الفروق الفردية في تدريس مادة التربية الإسلامية(مقال مراجعة)	م. م. زهراء فاضل محمد جمعة	٦١٢
٤٣	المؤثرات الدينية في شعر أبي أسحاق الأشهبي	م. م. علي قيس محمد	٦١٨

الخطاب الواصف للعنف في رواية «ملوك الرمال»

م. د. عروبة جبار أصواب الله
الكلية التربوية المفتوحة

المستخلص:
خطاب رواية (ملوك الرمال)، خطاب معرفي، ثقافي، ايديولوجي، يحمل أبعاد دلالية، ومضمرات متعددة، منها: خطاب السلطة، وخطاب الضد، وخطاب الرفض، وخطاب الاستبعاد، وخطاب الحروب. وجمعها أو دمجها ينتج خطاباً مردوداً، ومرفوضاً، ومنبوذاً. هو، الوجه القبيح، المذموم الذي يحمل طابع الاماتة، والهتك، والايذاء الذي يمثّله خطاب العنف. يقابله، خطاب المعرفة، الخطاب الإنساني، خطاب السلام، والتسامح، الذي يحمل وجه جمالي ممدوح، ومدعوم بالحث عليه، من الكاتب. الذي يحرص على تأكيد الصورة الإيجابية، ونقض الصورة السلبية الذي يمر عبرَ تقنية الوصف، ليحاكي المشهد، ويعكسه مرئياً، وسمعياً في متخيّل ذهن القارئ.
المفاتيح: العنف، الوصف، الخطاب، الذبح، الموت، الحرب، السلطة، الضد، الاستبعاد.

Abstract:
The discourse describing violence in the novel *Kings of the Sands* is a cognitive, cultural, and ideological discourse, carrying multiple semantic dimensions and implications, including: the discourse of power, the discourse of opposition, the discourse of rejection, the violence. In contrast, there is the discourse of knowledge, the humanistic discourseseworthy aesthetic aspect, supported and encouraged by the author. The author is keen to emphasize the positive image and refute the negative one, employing the technique of description to mimic the scene and reflect it visually and aurally in the reader›s imagination.
Keywords: violence, description, discourse, slaughter, death, war, power, opposition, exclusion.

المقدمة:
قراءة الرواية العراقية، ما بعد السقوط يحمل مضامين شتى، منها، الالتفات الى ما كان مسكوت عنه سياسياً، وايديولوجياً، واجتماعياً. وهذا ما يشغل حيزهُ الواعي في رواية ملوك الرمال. يمثّل فيها، خطاب العنف، وجهاً من مرحلة تأريخية مأزومة عايشها الجيش العراقي على الأخص، في ظل حرب مترقبة على حدود صحراء السماوة المحاذية لحدود صحراء السعودية، حيث قوات التحالف الدولي، تتربص لهم بالهجوم المضاد، يصاحبها قلق الخوف من مصير الموت المحتوم الذي لا يبعد عنهم اميالاً. وتجتهد الشخصية الراوية إن تبحث عن أجوبة، أسئلة متكررة، بين: سبب استمرارية الحروب، وتعدد طرق الموت في الحرب، وكيفية القسوة والوحشية. يعتمد الكاتب على الرؤية مع، عبرُ الشخصية الراوية، في نقل الاحداث والمشاهد عبر الوصف، في فضاء مفتوح، صحراء السماوة، مكان البدو، بأحداثها كلها. والشخصية الراوية، رصدت تفاصيل المكان بجماليتهِ، وقبحيتهِ. ويبدو انتهاك مكان البدو، أحد العوامل الرئيسة، في تشكيل العناصر السردية، بما فيها الحدث، والشخوص.

ساند البحث وفق القراءة الثقافية، المنهج الوصفي التحليلي، لرصد الدلالة المضمرة، والظاهر في خطاب العنف الذي تفرع الى مباحث، أولها في مفهومه، والثاني تطبيقي، في: تمظهرات العنف، الذي جاء في صور: الذبح، والموت. وتداعيات الحرب.

المحور الأوّل: مفهوم العنف

العنف لغة واصطلاحاً

يأخذ مفهوم العنف، بعداً دلالياً مقارباً في اللغة، والاصطلاح، فلا ينزاح عن معنى القسوة(١). فهو((ضد الرفق، نقول عنف، ويعنف عنفا، فهو عنيف إذا لم يرفق))(٢). و((أعتنف الشيْ أخذه بشدة واعتنف الشي كرهه وأعتنف

الأرض كرها، والتعنيف التعبير))(٣). فالعنف فعل قاسٍ، يُغاير طبيعة الشيء، ويكون مفروضاً عليه من ضغط خارجي، باستعمال القوة بطريقة غير مشروعة أو غير مطابقة للقانون، لما يسببه من اذى(٤). أمّا((العنف إجرائياً: هو، فعل اكراه بالقوة، وكلّ ما يتمثل باستخدام المفرط للقوة ضد الانسان أو الحيوان سواء بفعل ارادي أو غير ارادي، وما تحدثه الطبيعة بظروفها ويسبب الهلاك للإنسان))(٥). فالمفهوم يؤطر، بتسخير القوة البدنية، أو اللفظية، ضد الآخر الضعيف، الهامشي، الاقل عددٍ، وعدّة، بقصد الإيذاء، والاعتداء.

تمثلات العنف:

يمكن عدّ مسألة العنف من القضايا الإنسانية الضبابية، لأن الوقوف على أسبابها، ومسبباتها، غير ثابت، ومحدد؛ إذْ تأخذ ابعاداً، تتجاوز البعد الاجتماعي، أو البعد السياسي، أو النفسي، فهو ((سلوك فعلي أو قولي، يستخدم القوّة أو يهدّد باستخدامها، لإلحاق الضّرر، والأذى باللّذات، أو بالأشخاص الآخرين، وتخريب الممتلكات، للتأثير على إرادة المستهدف))(٦). و((يتوسع الى الرّمزي واللّفظي، مباشر أو غير مباشر، يستعمله فرد ضدّ آخر أو جماعة أخرى))(٧) . بمعنى؛ العنف لا يتخذ شكلاً واحداً، ولا ينحصر في مستوى ضيق، فهو، يتعدد، ويتنوع، من: مادي، ولفظي، ورمزي(٨). ويحمل اثاراً، اجتماعية، أو سياسية، أو نفسية.

المفهوم النفسي للعنف:

يحدّ العنف في الأبحاث النفسية، والاجتماعية، اهتماماً ملحوظاً، لأنهُ، يتعلق بالذات الإنسانية، ويحدد كيفية العلاقة مع الآخر. فيرى(فرويد)، العنف غريزة حيوانية تتحكم في الانسان، وتُصيّرهُ عدائياً عنيفاً، مما يجعله يهدّد باستمرار نفسهُ، والآخرين، والمجتمع أيضاً(٩). فسعى–فرويد– جاهداً معرفة، منابع العنف في السلوك الإنساني، وتشخيص المخازن الكبرى لطاقته النفسية العدوانية، فالعنف قرين العدوانية، فهو، من اهم مظاهر السلوك الإنساني.

وفي هذا السياق، يذهب بعض الباحثين في هذا المجال، إنّ العنف نشاط لا يمكن تفاديه عند الانسان، ويكاد يكون سمة خُلقية ملازمة، له. مما يعني هذا، خلق مأزق اخلاقي؛ لتبريرات لا أخلاقية، ولا إنسانية، فإرجاع المشكلة الى عوامل طبيعية يؤدي الى إسقاط بعض الاعتبارات الأخلاقية، فالعنف مسألة أخلاقية تبقى. وهذه احدى إشكاليات العنف، في ضوء ما تتشكل من أسئلة، بخصوص هذه الإشكالية، منها: كيف يمكن للحياة الاجتماعية أنْ تجعل الإنسان عنفياً عدوانياً؟. ألاّ يمكن أن يكون العنف تعبيراً عن طبيعة الفرد ذاته أكثر من ردة فعل عن كونه تعبيراً اجتماعياً؟. وهو على العموم يحقق إطلاق النزعة العدوانية، وتحريرها الذي يتماهى كلياً بهوس السلطة والقوة(١٠). من هذا ارتباطه الحميم– العنف – بمركزية السلطة، والهيمنة، والقوة اللاشرعية.

بينما يرى أخرون، العنف نزعة تدميرية((ليست اصل في الطبيعة الإنسانية، وليست ناتجة عن شغف بالتدميّر، أنما قد ترجع الى عوامل كثيرة سهمت في تكوين هذه النزعة، ومنها الحروب، والنزاعات السياسية، والدينية التي تعمل على تأجيج الطاقة التدميرية بسبب هذه الظروف او الضغوط الخارجية على نفسية الانسان))(١١). ففي كتاب(تشريح التدميرية البشرية) يرى عالم الاجتماع، والمحلل النفسي إيرك فروم، العنف موجود عند كلّ المجتمعات البشرية، وتمارسه بطرق مختلفة، وبعضه لا يتحول عدوانياً، بتدخل المؤسسات الاجتماعية، والسياسية، فهي تحددهُ، وتحدّهُ، وتنظمهُ. وبهذا، فليس كلّ سلوك عنيف نتاجاً فطرياً غريزياً في بنيّة الطبع البشري، أنما، هو، محصلة دوافع، ونزعات، لها علاقة وثيقة بالممارسات الاجتماعية، والطقوس الثقافية، فالدوافع هي التي تؤدي الى اطلاق وحشية العنف(١٢).

أنواع العنف:

العنف نوعان: العنف الجسدي، والعنف اللفظي. وينطوي العنف الجسدي، على سلوك الفعل، بالاعتداء على جسد الآخر. وصوره: القتل، والذبح، والتعذيب. أما، العنف اللفظي، ينطوي على سلوك قولي، بالتلفظ المؤذي، صوره: السخرية، أو السب، أو الشتم(١٣).

أصناف العنف:

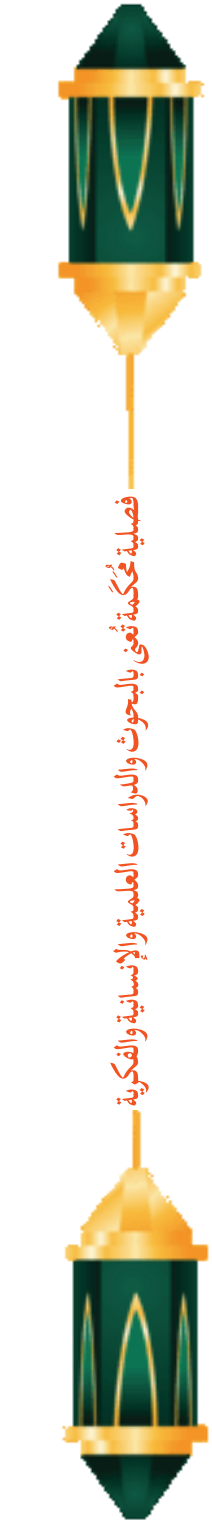

العنف ظاهرة منبوذة، ومرفوضة، تجاه أيّ كائن حي، إلاّ إنّ، هناك صنفان: عنف مشروع، وعنف غير مشروع. فالعنف المشروع، هو، ردةّ الفعل تجاه اعتداء، بغية، الدفاع عن النفس، أو العرض، أو الوطن، فيكون ردة فعل مقبولة، ومحمودة. بينما العنف غير المشروع، هو، ما يمكن وصفه بالاعتداء والتعدي على الآخر، ظلماً، وهيمنةً، ووحشية. وعلى سبيل الاستشهاد عنف السلطة الدكتاتورية، فهي، تعدّ سلطة غير شرعية؛ لاستعمالها غير المشروع للقوة، لأجل السيطرة والهيمنة عبرَ ادواتها، وأبرزها القهر، والعنف، والظلم. وطبقاً لطروحات(جون كينيث جالبريث)، توجد ثلاث كيفيات لممارسة السلطة غير الشرعية: أهمها، وأولها، الكيفية القسرية التي تعول على العنف في إخضاع الآخر، وحمله على الامتثال لأوامرها، وتهديد كلّ من يخرق محظوراتها، امّا بالتغييب، أو التعذيب، أو التصفية الجسدية، وما إلى ذلك من وسائل الضغط، والإكراه الأخرى التي تجعلها أكثر الكيفيات قسوة ووحشية، وأشدها انحطاطاً، وتخلفاً، ومثالها الأنظمة الاستبدادية(١٤). فالسلطة القسرية تبذل كلّ ما في وسعها من قسوة وعنف غير شرعي لبسط هيمنتها، وإحكام قبضتها، استناداً إلى مبدأ الغاية تبرر الوسيلة الذي يبيح اعتمادها، كلّ الوسائل لتحقيق مصالحها الذاتية. فالسياسة في منظور تلك السلطة لا تخضع لأية قاعدة أخلاقية، ولا تعبأ بغير بمصلحتها، وإدامة نفوذها(١٥).

وسنبحث كلّ هذه التمظهرات في رواية ملوك الرمال.

تمظهرات العنف في ملوك الرمال

مشروعية العنف:

ظاهرة العنف ظاهرة إنسانية عابرة للقارات والازمنة، والأسباب والاجناس والاعراق، لكن تبقى ظاهرة شاذة، لا بدّ، من فضحها، وتعرية ملامح قبحها. فهي تخالف أي شريعة دينية، وإنسانية، تقوم على المحاباة بين الناس. وتتمحور ثيمة العنف في رواية (ملوك الرمال) في مضمونها ودلالتها على العنف تجاه الاخر، المهمش، الأقل، الأضعف. بوصفه، هيمنة، وسلطة، ووحشية. يتخذ مظاهره، بكافة دلالاته، الظاهرة، والمضمرة.

ينطلق زمن سرد الرواية في ظل أجواء تنذر بعواصف من العنف المتتالي؛ من جانب، يحشد الجيش العراقي جنوده على جبهات الحدود المحاذية للحدود السعودية، لتصدي المترقب لهجوم عدوان التحالف الدولي لثلاثين دولة، وفي أجواء هذا لاضطراب الذي تعيشه البلد، والحكومة، نرصد جانباً معزولاً من فصيل الجيش، يكلف، لمُهمة غارة الصحراء، المتكون من سبعة جنود وضابط، لملاحقة افراد من البدو في صحراء السماوة من بني جدلة، بزعامة جساس، وسبب اشتعال فتيل هذا الامر هو بلاغ((الاستخبارات العسكرية ضد بني جدلة، فبعد مقتل الضباط العراقيين الثلاثة، نفذت الهيلوكوبترات العراقية–مباشرة– عشرات الطلعات على المنطقة، ولكن من دون جدوى؛ فبنو جدلة قد اختفوا بين التلال الرملية مثل إبرة في القش... بل أن الطائرات أخطأت هدفها، وقتلت عشرين رجلا من بني جابر، كانوا هم–أيضاً– يبحثون بين تلال أحماد عن بني جدلة، لأسرهم، وتسليمهم، للحكومة أو قتلهم))(١٦). وهؤلاء الجنود كانوا يحملون مكافاة مالية، كـ((هدية من الجيش لبني جابر أعمام بني جدلة، وكلاهما من بطون آل مضر، وبنو جابر معروفون بموالاتهم الدائمة للدولة، وتعتمد الاستخبارات العسكرية عليهم في رصد عمليات التسلل، أو جمع المعلومات المهمة اعتماداكاملاً، بل كان بعضهم يدخل ويخرج من حدود الدول المجاورة مع إبله مثل أي بدوي آخر، ولكن مهمته الحقيقة هي جلب المعلومات الأساسية من هذه الدول المجاورة))(١٧) .

يحقق وصف الحدث برسمه، وتثبيتهُ في مخيلة القارئ، وظيفة سردية، تسهم في تبرير سرد الحدث، ودفع استمرارية السرد، وفتح افق انتظار القارئ بتشويقه لمتابعة الاحداث، وتفعيل الأسئلة الضمنية المتجهة الى فعل المطاردة، واسبابه، ومسوغاته، وعلاقته بالمناخ العام للرواية وخطاب العنف. وبهذا لا بدّ إن يكون مسار السرد تتابعي، يضخ المعلومات السردية متلاحقة.

ومن هذه المعلومات، منح الحكومة العراقية مكافأة مالية، لبدو بني جابر، نظير، مساعدتهم أو تجنيدهم، خدمة

لأغراضها الاستخبارية، فهم اتباعها، وسرقة اتباعها، والاغارة عليهم، وقتل جنودها، يعدُ اعتداء سافر على الحكومة نفسها. لهذا؛ جساس ورفاقه، مطلوبين للحكومة؛ لأنهم خارج هذه التبعية النفعية، ليغدو خطاب السلطة النظامي، ظاهراً للعيان خطاباً نفعياً، وتبعيّاً عبرَ الكيفية التعويضية التي، هي: الهبات، والمكافآت، لقاء الطاعة، والخضوع لممارساتها، مما يفضي إلى تواطؤ المنتفعين معها، وكسب ولاء الفرد، وتأييده، وحمله على الإيمان بوجوب التعاطي معها والاستجابة لها بمحض إرادته(١٨).

من هذا، يتحول خطاب السلطة ضد جساس ورفاقه، خطاب تعنيف، فيغدون هدفاً((للأسر، أو القتل، الأسر أفضل، بطبيعة الحال، كي نفيد من المعلومات التي لديهم، ومعرفة الجهة التي تقف وراءهم. الهدف الثاني، هو قتل أيّ شخص، يتأكد لديكم أنه من بني جدلة؛ أي أنهم كلهم أهداف هنا، بسبب تمرّدهم وتعويقهم لعمل الدولة. الشيء الثالث، يجب أن تعرفوا أن هذه الأهداف خطرة جداً، إذ قامت بعمليات عديدة ضد قطعات الجيش، آخرها قتل ثلاثة ضباط من أهم ضباط الاستخبارات))(١٩). مثلما تحول خطاب عنف السلطة، مشروعاً ومبرراً أيضاً، بوصفهم–جساس ورفاقه– يمثلون خطاب ضد، وتوظيف آلية العنف، أداة سلطوية للحفاظ على سلطة بقاء النظام، سعياً، لتغيير سلوك المواطنين غير التابعين أو غير المنضبطين إلى سلوك نظامي تحت السيطرة، حتى لا يصدر منهم أي تصرف يهدد مستقبل السلطة أو هيبتها(٢٠).

السلطة القسرية تتعمد تجاهل شروط العلاقة الجدلية، والمنطقية بل الدستورية، بينها، وبين افراد الشعب؛ إذْ، تصنف كل من ينقد مقولاتها، وشعاراتها، واتجاهاتها، في خانة المتآمرين والخونة الذين يجب تصفيتهم معنوياً، وجسدياً؛ متحولةً من حكم المواطن إلى التحكم فيه؛ من أجل بسط هيمنتها، وسيطرتها ويمكن، التنبؤ، واستنتاج مصير هذه السلطة، آيلاً للانهيار، والسقوط؛ فمن الثابت التمسك بحرفية الإيديولوجية، وتطبيقاتها التعسفية في الواقع الإنساني المتغير، وانحباسها عن مجاراة تحولاته، وصيرورته، السبب الرئيس لانزلاقها نحو نهايتها الحتمية، وانفضاض الشعب من حولها؛ مستقبلاً مصيرياً محتوماً؛ عليها(٢١). فالهدف الحقيقي من وجود السلطة في الأنظمة السياسية المعاصرة، هو، حرية المواطن في ضوء الحقوق والواجبات الدستورية، والدفاع عنه في ظل نظام إنساني غير دكتاتوري، وليس هدره(٢٢). غير إن((فعل العنف بوصفه انعكاساً للواقع الذي باتت تحركه القسوة الإنسانية، والمصلحة الذاتية المحكومة بمنطق الزيف الذي تبنته ثقافة الآخر المتسلطة على الثقافة المحلية))(٢٣)، اصبح، هو السائد كمتلازمة لبقاء أي سلطة، غايتها البقاء والاستمرارية على حساب حقوق الشعب.

وبعد إنْ رصدنا مسوغ، مشروعية خطاب عنف السلطة تجاه جساس ورفاقه، نرصد كيف تجلى صور العنف عند جساس ورفاقه، وكيف تمثّل هذا العنف، ولماذا هذا التمثل، أسبابه ومسوغاتهِ.

أولاً: صور العنف

العنف الجسدي

يتمثّل العنف الجسدي عبرَ انتهاك حرمة الجسد، بتشويهه حد التعذيب، والتوجع. وطريقة القتل التي تتجسد بصورة الذبح تحيّل الى فعل بدائي، همجي، إذا ارتبط بقتل إنسان، لأنه ـ عادةـ يقترن بذبح الحيوان، مثلما يرتبط بالوسيلة، والاداة البدائية، وهي السكينـ اداة الجريمةـ، ويتم هذا الفعل على يد((جسّاس ين مخيمر، وهو شاب في العشرين من عمره... يقال إنهُ هو الذي ذبح الضباط الثلاثة وسلبهم أموالهم، وأسلحتهم، يعاونه أربعة من أبناء عمومته، غالب بن عبود بني جدلة، وجويد بن شمران بني جدلة، وغريب حويط بني جدلة، ومناحي حواس بني جدلة))(٢٤). فيأتي الوصف للكشف عن الحدث الرئيس الذي ستدور ضمنه الاحداث أو محركها، والمسوغ له. وهو بطاقة تعريف بالشخوص الذين سيتم مطاردتهم من قبل جنود فصيل غارة الصحراء أيضاً. فضلاً عن تضمنهُ خيط بداية العنف، متجسداً بتوصيفه بالذبح، لأنّ عملية الذبح تكون بالسكين–حصراً–، وهي، أقرب الى واقع الشخصية التي تعيش في الصحراء، وتعتمد السكين سلاح أوّل، في تفاصيل يومياتها المعاشة. لتستظهر

بدائية الشخصية، واضحةً المعالم عَبْر طريقتها بالتعبير عن العنف تجاه الاخر، كحال ذبح الشاه. ويثير هذا الفعل عند القارئ–ربما– صورة متخيلة مؤذية، طافحة بالدم، والايذاء، والتوجع، ليغدو فعل الذبح امراً حيوانياً، لا يليق بإنسانية الإنسان، فهو نتاج((شحنة عنيفة من الهيجان والغضب))(٢٥).

ليتحول خطاب العنف الى خطاب رفض لهذه الطريقة، وإدانة، لسلوك وأسلوب جساس، بغض النظر عن السبب، والمسوغ الذي يبدو كعمل قطاع الطرق هدفهم السرقة، وتسليب المارة، فلا يتوانون عن القتل إذا تطلب الامر. فتمثّل العنف، هنا، نتاج–قد– ظروف بيئية، تتصل بالموقف الآني–غالبا– مثلما تحكمهُ السياقات الاجتماعية والتاريخية. وهو على المستوى الأدنى يكون ردّة فعل عن التوتر، والخوف الناجم عن صراع طرفيّن في مواجهة مصيرية، هزيمة أحدهما تعني بقاء الآخر. فهو موقف اجتماعي وجودي، ونفسي ضروري، وليس لازمة جينية تكونية في الفرد او المجموعة(٢٦).

إلاّ إنهُ يبقى سلوكاً مؤذياً((بهدف تعمُّد إيقاع الضرر الذي يتشكل في صورتين؛ الأولى: معنوية تؤثر على الذات بما يصيبها من الرعب والهلع، والثانية: جسدية قد تحدث بالضرب أو القتل أو التعذيب، وفي كلتا الحالتين، تهدد الأمن والاستقرار النفسي للأفراد... ولا يكون العنف جريمة إلا إذا انتهك حقاً من الحقوق الإنسانية))(٢٧). ويظهر على سطح النص الظاهر، أسلوب جساس الوحشي تجاه الجنود، فيحرك عاطفة، وموقف القارئ بالانحياز التلقائي المباشر الى طرف المعتدى عليه، مما يضخ التبريرات والمسوغات، لخطاب الضد تجاه جساس ورفاقه، فـ((الأدلجة في سياق العنف تصير ذات أهمية خاصة، فهي تتطلب تبريراً، يفوق أشكال الفعل الاجتماعي الأخرى. فحتى أقوى الحكام وأكثرهم هيبة على مر التاريخ كان عليهم تقديم شكل ما من التبرير لتعذيبهم البشر الاخرين أو قتلهم))(٢٨). وسنكشف عن هذا، لاحقاً، أنحن أمام وحشية انسانية بدوية أم أمام ردة فعل مشروعة تجاه السلطة التي يمثلها الجنود؟

فمن الممكن أو المتوقع، يتحول خطاب الضد الى خطاب مركزي، عبرُ القوة والنفوذ التي يستعين بها الفصيل المُطارِد، لأفراد هامشين، لا يملكون الخبرة القتالية أو التنظيمية، بدليل، ادواتهم البدائية في الصراع، مع قلة عددهم. فمهمة هذه الفصيل لن تنجز إلاّ بالاقتصاص منهم، ومطاردتهم حتى القبض عليهم، أو قتلهم، إلا إنّ جساس ورفاقه، يعكسون المعادلة، فـ((بعد دقائق، عاد الجنديان ليقولا لنا الخبر الصاعقة، فقد عثرا على الجنود المخطوفين الثلاثة مقتولين، ومرميين بالقرب من حجر صخري قريب منا، فتناولنا أسلحتنا، وهرعنا في الحال، وتوقفنا أمام جب صغير، كنا مطائطي الرؤوس، مثقلين بألف من الهموم القاسية، بشيء من الهزيمة والانكسار، وقد لمحنا عند أقدام واد محفور في شكل حوض من التراب جنودنا الثلاثة مقتولين. بقينا ساكنين، ثم جاء محمود من الطبابة لفحصهم، وعاد ليقول لنا إنهم قُتلوا بطريقة شنيعة، لقد ذُبحوا، بالسكين، ورُموا هناك واحداً فوق الآخر في الجب))(٢٩).

ينطوي الوصف على بيان حجم الوحشية الذي يتجسّد بجساس ورفاقه، فهل نحن أمام قتلى سادية؟. أو إنها ارسالية قصدية، تحذيرية، لإظهار مدى قوتهم، لردعهم عن مواصلة مطاردتهم((فالعنف سلوك عدواني تكون الغلبة فيه للأقوى، والأدهى ممّا يتسبب بالحاق لأضرار المادية، والنفسية، والاجتماعية للطرف الآخر))(٣٠). إذْ، تعدّ طريقة التمثيل بجثث القتلى، واظهار مدى التعذيب، غايتهُ توليد الخوف، وبث صورة الرعب، لأثبات قوة المُعنِف، والتركيز على مشهد المعاناة، ليس بدافع السادية، أو رغبة بالقسوة، أو لدافع الحيواني، بل يوظف، لأرسال رسالة مفادها، نحن لنا الغلبة، الأكثر عنفاً، والأقوى سلطة هنا(٣١).

حدّ، يأخذ العنف منحى افقياً، فيتمكن جساس من كلّ الفصيل، ماعدا الشخصية الراوية، الناجي الوحيد، فينقل شهادته الحية((وصلت قريباً من بنايتنا المهدمة غير أني وجدت الحرس قد فارق مكانه، قلت ربما كان دلف الى الداخل بعد أن اشرقت الشمس، وها هم–الان– يستعدون لتعقب بني جدلة وراء المرتفع، وعندما وصلت صحت بأعلى صوتي على الخيمة في الداخل، غير أني لم أسمع غير تردّد صدى صوتي على الخيمة في الداخل ... شعرت

بالخوف، وقد تسرب الى قدمي، كان الأمر مريباً، وحين دخلت بهدوء، شعرت بالمكان خاليا تماماً، لا صوت، ولا نأمة أبدا، كانت الخيمة ساقطة على الأرض، وأحداث تدافع–ربما– حدثت هنا هناك، شاهدت آثار دم أحمر، لا يزال ساخناً على الارضية، وآثار اصطدام على الجدران. فصرخت بأعلى صوتي الى السماء:

– يا إلهي، قد ذبح رفاقي))(٣٢). فالشخصية تنقل الحدث بطريقة وصفية، لتضعه أمامنا مشهداً مرئياً مباشر، تضمن تفاعلنا، وتصعد من توترنا، ازاء هذا العنف الذي يحاكي هوية هذه البيئة الجغرافية القاسية، النائية، الجافة، المتمثلة، بشخوصها. فالعنف انزيم سام تنتجه البيئة((حينما أتذكر مشهد القتلى من رفاقي، أفكر بنوعية العنف الذي شاهدناه هذا اليوم، فمن دون شك، أن هذا العنف لا ينتمي الى عنفنا، لا أدري... بوصفه عنف الطبيعة))(٣٣). فالعنف ظاهرة إنسانية، وحالة ثابتة في كل المجتمعات، لكن يتمظهر، وفقاً لطبيعة البيئة، والانساق الثقافية، وهذا ما تقدمه((الرواية دلالات ثرية للمكان في اقترانه بالعنف؛ وتهدف لإظهار العمل في صورة انعكاس للواقع؛ مما يسهم في تفسير الخصائص النفسية للشخصية، المتأثرة بالأماكن والمؤثرة فيها))(٣٤). فهو((متلازم مع نظام ثقافي للفرد يسري وفق تلازم متوازي مع الفكر... يدعمه نظام ثقافي ذاتي، يتحرك على وفق فكر وعقيدة، وهذا الفكر والعقيدة يخضعان بطبيعة الانسان الى شمولية تتحقق وفق تأثيرات محيطة بالإنسان، ومنها الأنظمة الحاكمة ودوافع للبقاء والتمسك بالحياة... بمعنى أن العنف سلوك مكتسب في الانسان))(٣٥). فهو تفسيرٌ، وليس تبريراً، ووصفاً، وليس تحليلاً، ليجعلنا أمام مرآة عاكسة بشاعة واقع هذا العنف بكلّ صوره، وأشكاله وامكنته. فالكاتب، يتبنى رؤية تنويرية إنسانية، ترى في العنف خطاباً مرفوضاً، بغض النظر عن المبررات، ولعل مردّ ذلك الرؤية مع الشخصية المشاركة، تجعلنا نشارك في رؤية الحدث مباشرة، أي مرافقته لحظة بلحظة كما عاشهُ من دون استباق او استرجاع، مما يشوقنا لمتابعة الاحداث أكثر، بوصف الشخصية الراوية تُبئر، وصف خطاب العنف عبر طريقة الذبح؛ لتجعله مرئياً ظاهراً، ببشاعته، فيبدو مفزعاً، مرعباً، يثير فينا التقزز، والنفور، فهو، خطاب رفض، لكن؛ ماذا لو، كان هذا حقاً مشروعاً، غايته الدفاع عن النفس، أو الأرض والحقوق، وليس للحاق الأذى، والضرر بالآخرين، فهل الغاية ستبرر الوسيلة عندئذ؟!(٣٦). لهذا، يلحق الكاتب بتمظهرات العنف، صورة أكثر بشاعة وقسوة، وهي صورة الموت والقتل في الحروب، –ربما– ستكشف هذه الغاية.

العنف اللفظي:

يرتبط العنف باللغة أو التلفظ اللغوي، القاسي والفج، فهو شكل من تمثّلات صور العنف؛ و((العنف اللفظي يقوم على التلفظ، وهو سلوك يتسم بالقساوة والوحشية والعدوانية، يستنجد به الشخص في حالة الغضب أو التوتر، لُيلحق الضرر بالطرف الآخر ، ضمن علاقة اجتماعية معينة، وينطوي العنف اللفظي على عدوانية كبيرة، ووحشية في الكلام والسلوك، وينبني على استعمال جائر للخطاب ، عبر الشدة والقساوة اللفظية والتهديد من اجل تحقيق اهداف مستعمله))(٣٧). مثلما نلمس في وصف الشخصية الراوية، لقول زميلهِ:((كان محمود يتمنى أن يفتك بالبدو، قال لو قبضت على أحدهم سوف لن اقتله إنما سنهشم له اضلاعه كي لا يتنفس ويظل يتعذب، ونحن نبول عليه، ونضع برازه في فمه وبعد ذلك نفتك به. لا ادري لمَ لم اشعر في تلك اللحظة أي مشاعر ضيق من هذا المشهد الذي يلح عليه محمود، بتلذذ كبير، مثلما كان يثير مشهد رفاقي المقتولين فيَّ، كلّ مشاعر الضيق والامتعاض))(٣٨). الذي يعبّر عن وجه آخر، لصورة عنف أبشع، غير مرئي، لكنه مسموع، محسوس، يثيّر الشعور بالنفور، ويفرغ محتواه الإنساني، ويدلّ على المتلفظ به، شخصية غير سوية نفسياً وسلوكياً، إذْ، يصدر –غالباً– من((الشخصية السيكوباتي وصاحبها انسان منزوع الضمير متبلد الإحساس، لا يبالي بالمصلحة العامة ويسعى الى تحقيق رغباته ونزواته الشخصية على حساب الاخرين، شخص عديم الإحساس أناني، ولا يطوي في سريرته أي شعور بالذنب))(٣٩). لأن العنف السلوك القولي، يتضمن الحاق الأذى، والضرر بالآخر تلفظياً، لتحقيق هدف معين(٤٠). لأنهُ يخلق صور، وصفية مرئية متخيلة في ذهن المتلقي، مما يعبث بالشعور بالامان((حين بدأ المعالج الطبي

بكتابة وتدوين تقريره لا أدري أي شعور بالاختناق والقلق الذي ظهر فجأة من هذه اللغة التي لا تمر إلا عبر تخيلاته السادية، باعتباره واحدة من العادات الوطنية، فالموت –هنا– هو نوع من الألعاب الفولكلورية، والكلام –بهذه الطريقة العنيفة– –يخضع– لا أدري كيف—لضرورات أخلاقية واجتماعية... كأنه تعبير عن الفلكلور المحلي والروح العراقية العنيفة))(٤١).

والكاتب يفسر، هذا العنف على انهُ نسق موروث، وفق لمن يرى،((النزعة التدميرية ليست اصل في الطبيعة الإنسانية، وليست ناتجة عن شغف بالتدميرّ أنما قد ترجع الى عوامل كثيرة سهمت في تكوين هذه النزعة، ومنها الحروب والنزاعات السياسية والدينية التي تعمل على تأجيج الطاقة التدميرية بسبب هذه الظروف او الضغوط الخارجية على نفسية الانسان))(٤٢). وهذا يتوافق مع تأريخية حياة الفرد العراقي الذي عاش كلّ عصوره في حروب، وصراعات متتالية. و((هذا معناه أنّ الضغوطات الخارجيّة تؤثر سلباً على نفسية الانسان، فيتحول من إنسان هادئ الى شخصية عصبيّة، لأن الظروف غالبا لم تكن متاحة لتجعل منه شخصية خيرة وسوية))(٤٣). فشخصية الجندي أو الفرد العراقي شخصية متأثرها بطابعها المحلي الثقافي، ولم تتخلص من هذا الموروث، مادامت الحروب قائمة، ومتتالية، فقد اعتادت على مظاهر الاماتة، والفتك، مما شكلها شخصية مضطربة نفسياً واجتماعياً، لم تلتحم جروحها، وتتعافى من صدمات واقعها، ومصيرها الاشكالي.

والكاتب يتكأ على استفزاز المتلقي بالصدمة العاطفية، عبر نفوق ما في أعماق هذا الواقع من بشاعة وقبيحة وفساد أخلاقي، وجعله مرئياً مسموعاً محسوساً، ليتخذ منه، موقفاً فكرياً انسانياً تجاه كلّ القضايا، ونبذ كلّ، ما ليس له صلة بالإنسانية، وتجذير قيم أصيلة في عالم متدهوراً، وآيل للانهيار والسقوط الحتمي(٤٤). فـ((العنف يمكن أن يؤدي أيضاً الى تفكيك الروابط الاجتماعية، حيث يعزز الانقسام بين الأفراد ويضعف الثقة في المؤسسات، كما انه يمكن أن يؤثر على الهوية الجماعية للأفراد، مما يؤدي الى فقدان الشعور بالانتماء والولاء للمجتمع))(٤٥). إذ((يعدّ نزوع الانسان الى العدوان والوحشية بمثابة السبب الرئيسي لتردّي العلاقة بين الذات والآخر، وقد تغرس في الافراد حقدا دفينا لبعضهم البعض فيصبح الانسان ذئبا لأخيه الانسان))(٤٦).

وإذا كانت القيم الإنسانية ضرورة وجودية، تحقق إيراداتها الإيجابية بتحقق الشعور بالسلام، لكافة الجماعات والمجتمعات باختلافها، وتنوعها، في ظل الانسجام والطمأنينة والتوازن. فالكاتب لا يراهن على نجاح هذا الشرط، بل يرى تورط وخضوع المعايير الإنسانية للأنساق الثقافية، والسياسة والبيئية. لكن هذا، لا يلغي تبني الخطاب المعرفي القيمي بديلاً عن أي خطابٍ يفكك العلاقات الفردية، والاجتماعية، والإنسانية أوّلها.

مشهد الموت:

يرتبط العنف بصورة الموت من واجهتين، الواجهة الأولى طريقة الموت، والأخرى، الخوف منه. وكلاهما، يشخصها الشخصية الراوية، بوصفه الناجي الوحيد من سكين جساس، فالموت ليس((حدثاً أو حالة وفاة أو نهاية تبلغها الأنا بعد أنْ تقطعَ عمراً طويلاً أو قصيراً، كما تصور لنا الانطولوجية التقليدية، إنما على حدّ تعبير هيدجر، ظاهرة يجب فهمها وجودياً، وهذه الظاهرة لا بدّ من توضيح معناها وتحديد معالمها))(٤٧). وهو، أوضح صورة، لحالة المحو، وهتك وجود الانسان، مثلما نلحظ في وصف الشخصية الراوية،((كنت انظر الى الجثث، وكأني أكتشف الموت للمرة الأولى، أرفع رأسي، وانظر تعبير وجوه الجنود الى جانبي واكتشف– للمرة الأولى– هذا البناء الداخلي المعقد للإنسان وهشاشة قوته العقلية، وسهولة ارتكابه للعنف ضد الآخر))(٤٨). نلمح تحولات الخطاب الواصف للعنف، مرة بوصفه؛ فعل تدميري، وحشيي، يرتبط بسلوك انساني وعاطفتهُ الشجية، تجاه جسد الاخر الحميم (اصدقاءه)، إذْ يتشكل نوع من الترابط العاطفي بين الجنود إذ يتلاعبوا بالقيم في تصوير ارتباطات مجتمعية كثيفة بينهم، ويصوغون رؤى أخلاقية قوية، وذات مغزى من داخل الحرب. فالبيئة الكارثية للحرب تخلق ظروفاً استثنائية تعمل على تحقيق روابط بين الجنود، ووشائج مجتمعية قوية غالباً(٤٩). ومرة أخرى، تجاه الآخر غير الحميم أو اللا

منتمي عبرُ الخطاب العنصري الأيديولوجي أو التحيز المناطقي، لأفراد الجماعات الذي لا ينتمون لمجموعتنا؛ أيْ بتبني استراتيجية المركز، والهامش، وهي استراتيجية الاستقطاب: نحن/هم؛ ترفع شأن مجموعتنا، وتنتقص من قدر من لا ينتمون لجماعتنا، لتؤدي بنى الخطاب المستقطب دوراً مهما في التعبير عن التفاوت الاجتماعي، وعدم المساواة بين الجماعات المختلفة(٥٠). فالموت لا يبدو مريعاً، وعنيفاً إلا إذا كان يمسنا، وقريباً منّا، أو منْ نحبهم. فهو ينطلق من البعد الوجودي الانساني، رغبة في نبذ كلّ ما ليس له صلة بالإنسانية عموماً(٥١). ولعل الكاتب يثبت بوصلة سعيه، وبحثه نحو عنف الموت، بوصفه مشهداً قاسياً ومخيفاً، يثير القلق والفزع، إذا حدث بطريقة شنيعة، فهو شكل من تمثّلات صور العنف:((هكذا الامر برمته، من يمكنه أن يرى موت الآخرين، ولا يفكر بموته؟. أنه موتنا الذي انتظرناه منذ زمن بعيد، ماذا يعني الموت بالنسبة لجنود صغار السن مثلنا غير مشهد الجثة المعلقة على الطريق؛ حيث تكون الساقان مفتوحتين، والفم فاغرا؟، كانت هذه الحركة هي التي تقدم للحظة ما صورة الموت ... الموت في ميتات كثيرة))(٥٢). إذْ((يظهر الموت مروعاً ابعد من حدود قبول حتميته... وكان كل واحد منا ذلك اليوم ينفي عن نفسه الخوف عبر اصطناع صورة منقحة عن موته))(٥٣). وما هذا الاصطناع المنقح، إلاّ الاستشهاد لأجل الوطن، يضخه اعلام السلطة، لصلح صناعة الدكتاتور ،فـ((السلوك العدواني جزء لا يتجزأ من بنية النظام الاجتماعي الذي يمنح امتيازا الطواغيت للرجال الذين يشاركون في النزاعات المسلحة ضد القبائل الأخرى))(٥٤). لذا، فالعنف وثيق الصلة بالسلطة السياسية، والدولة الحديثة من منظور سوسيولوجي، تمتهن العنف البدني، وتحتكر استعمال مشروع العنف المنظم عبر الحرب، بتدريب جنودها عليه، أي قولبة الجنود في صورة قتلة عقلانيين فعّلين، لأن؛ تجربة الحرب تصوغ مجتمع القتل(٥٥). فتشخيص فعل العنف، يمثّل ((انعكاساً للواقع الذي باتت تحركه القسوة الإنسانية، والمصلحة الذاتية المحكومة بمنطق الزيف الذي تبنته ثقافة الآخر المتسلطة على الثقافة المحلية))(٥٦) .

إن طابع العنف في الرواية، مبعثه معضلة الصراعات المفتعلة، بسب النظام السياسي، بما يوظفه من إمكانات داعمة لمصالحه، والدفاع عنها فقط، ضد كلّ منْ يمثّل خطاب ضداً، وندا لها، ولمَنْ يقف في وجه مقاصدها النفعية، وهو الأمر الذي خلق صراعات متعددة بين الذات والآخر، وخلق آثار مفجعة، تسببت في الدمار الكامل، والانهيار النفسي قبل الهلاك الذي عم البلاد والعباد(٥٧). مما يستدعينا هذا، قراءة العنف من وجهة نظر تأريخ الحروب في هذا البلد. ومن هذه المهمة أيضاً، في ظل هذا الزمن السردي يطلّ السؤال هل من المنطقي، الانشغال بأفراد متمردين من بدو الصحراء، وهم على أهبة معركة مصيرية، وقاهرة للجيش العراقي، والنصر لن يكون حليفاً لهم في أكثر امنية بعيدة المنال.

ثانيا: تداعيات الحرب:

صورة الحرب:

يعدّ العنف، من نتائج الحروب المتتالية التي مرّ بها العراق، رصدها الكاتب عبرُ استدعاء تأريخ الحروب التي مرّت على الشعب العراقي منذ الحضارة السومرية، مروراً بالعصر الحديث، الحرب العراقية الإيرانية، وحرب الخليج الثانية، عاصفة الصحراء. ويأتي هذا التداعي من منظور أيديولوجي اجتماعي، نفسي، يراهُ الكاتب وسيلة لتحليل العنف الذي ينخر الفرد، والمجتمع العراقي، ويشوه روح الإنسانية، وحب السلام، والتسامح بينهم، فـ((الحروب هي المشكلة الخطيرة التي يتحتم على البشر مواجهتها، وبناء عليه قال هربرت جورج ويلز: إن لم نقض على الحرب ستقضي علينا)(٥٨) . والكاتب ينطلق من الواقع الاجتماعي، وهو، مرجعه في الرواية، وتحيل اليه، بتشخيص المجتمع بظاهراته وتحوّلاته، ومنها من الاهتمام الحرب، لا سيما في بعدها الداخلي (٥٩) .

يبدأ الكاتب بوصف الحرب بالعموم ((حين تحركنا نحو الهدف، شعرت بقشعريرة، اجتاحت جسدي كله، كنت أدركت بأنني تخطّيت العتبة الأولى نحو القتل، الحرب معناها أن تدمّر خصمك، وهي مختبر–أيضاً– للاستعراض

الفحولي وقدرات الرجال ووسائلهم... ماهي الحرب؟ كنت أسأل نفسي، وأنا أرى كل هذه التحضيرات كما لو كنت في فلم سينمائي. مَنْ تعلّم من مَنْ؟، الفن من الحرب؟! أم الحرب من الفن؟ الحرب واقع مصطنع، لعبة متخيّلة، تنفّذها عبر مجموعة من الأدوات الساحرة : بزّات مرقطة، وخرائط، وادارات، وخوذات حديدية... الحرب هي فعل اصطناع، هي محاولة لتقديم الموت بصورة اصطناعية، غرضها إعادة توليد وهمية للواقع، وبعث الخيال واقعاً متوهماً، هي جعل الخوف حالة واقعية عبر سيناريو معيّن... هكذا هي الحروب لعبة من الفخاخ المنصوبة، بسبب أشياء وهمية، إنها تنفيذ غير مباشر لرغباتنا... كنت اسير الى مكان مجهول، ولأجل قتل بدوي مجهول))(٦٠). لا شك، إنّه خطاب معرفي انساني يعبرّ عن رفضه، وادانته لخطاب الحرب، جملة وتفصيلاً، لأن، طابع العنف في الرواية، مبعثه معضلة الآخر القوي، صاحب السلطة، والهيمنة الذي يعلن الحرب، متى ما شاء، أو متى ماكان هناك منْ يعيق مصلحته أو يتحداه، فيوظف كلّ آلياته وادواتهِ، لخلق صراعات متعددة بين الذات والآخر، وخلق آثار مفجعة، تسبب الفوضى، والدمار، والانهيار النفسي قبل الهلاك الذي يعم البلاد والعباد(٦١) .

الحرب العراقية الإيرانية: الذكريات:

تعدّ الحرب العراقية الإيرانية، من أطول الحروب التي مرّت على الشعب العراقي، وتحمل ذكريات كثيرة، على الأخص، لجنود الذين خاضوها، وعاشوا مخاض تجربتها القاسية، ويأتي تداعيها هنا، لتقديم، وتعريف بالشخصيات المشاركة بمهمة(غارة الصحراء) المكلفين بها في صحراء السماوة لمطاردة جساس:((هرولنا بسرعة نحو حجرة خشبية كائنة وراء المعسكر، وقد اضطررنا الى أن نمر أمام بناية المستودعات المغطاة، بشبكات التموين والطين، يتقدمنا النقيب رعد... توقفنا عند المهبط...فصعد النقيب رعد أولاً، ثم المخابر ثانياً، ثم صعد منور البدوي دليلنا في الصحراء دون سلاح... ثم صعد الإسناد، وهم ثلاثة من أبرع الجنود الذين شاركوا في معارك شرق البصرة، في حرب العراق مع ايران))(٦٢). ويأتي هذا الاخبار، أو استدعاء الحرب العراقية الإيراني، لإبلاغنا عن الحرب السابقة التي خاضوها، والحرب القادمة التي بانتظارهم على محاذاة صحراء السماوة، فهم أصحاب خبرة قتالية، ومهارة عالية التنظيم، لهذا؛ ستكون مهمة مطاردة، جساس البدوي ورفاقهِ، يسيرة، وسهلة نظراً للفارق النوعي والكمي بين الطرفين. والكاتب عمد الى ذكر هذه المعلومة السردية ليفضح ويعري هذه الخبرة القتالية النظامية التي تنهار، وتتلاشى في ضوء سلطة المعرفة بأسرار المكان(الصحراء)، فمن يملك اسرار المكان، يملك مفتاح النصر:((في الواقع، كان دخولنا أشبه بالصدمة فلم نكن نعرف ضخامة المهمة التي جئنا من أجلها حتى دخلنا المكان الذي كنا فيه صباحاً، وتركنا فيه نفرين من الفصيل مكاننا؛ المخابر محمد، ورائداً مَنْ قوة المناورة. لقد وجدنا المكان خالياً. في البداية قلنا ربما تركا الواجبَ، وراحا يتنزهان، في مكان قريب... خرج الضابط، بسرعة من المكان، وصاح بصوت عالٍ بعد أنْ وضع يدهُ على فمه: جندي مخابر محمد سعدون.. جندي مخابر محمد سعدون.. عد إلى مكانك بسرعة.. وضع يديه على فمه مرة أخرى، وصاح... هذا المكان شهد معركة عنيفة بالأيدي. وهناك دم على الجدار، ومن الممكن أن الجنديين قد اختطفا ولم يتركا المكان))(٦٣). يرصد الكاتب عن كثب ملامح هذه التداعيات، حيث يختار صور سردية، ووصفية، بما يتوافق مع الرؤية الكلية التي تقوم عليه الرواية، فيعالج لحظات الحرب وتداعياتها، ولا سيما ما يظهر في صور الموت، وسلوك العنف المتعددة، وحالة الخطف، والترهيب الى جانب اتباع سياسة العنف، والتخويف بحق الافراد. غير إنّ العنصر السياسي محركٌ استراتيجي ينطلق منه الكاتب، عند الحديث عن قضية أيديولوجية تخص البيئة الجغرافية، يلح على اظهارها على سطح النص، ويبدو إنّه تؤرقه؛ فهو لا يكتفي بعرض هذا المنظور عرضاً باهتاً، وإنما يحاول الحفر ببواطن أثره السلبي على الجميع. وهذا العنصر، هو تهميش هذه الفئة إلى حدّ مطاردتهم، واقصائهم. فبالبدوي وفقاً الى نمط حياتهِ البدائي، لم يحظ بدعم حكومي حقيقي يجعله يشعر بروح الانتماء الى المواطنة، فهو يقاتل كالحيوانات الشرسة لأجل بقائه، ولم يستقطب، بل يقصى، ويستبعد، إلاّ في ضوء تبعية نفعية تعود على سلطة النظام–كحال بني جابر–، فالخطاب المعرفي يسهم في((إعادة

كتابة التواريخ من منظور نقدي يكشف المسكوت عنه في الذاكرة، وفي استنطاق سياسات التمثيل في صراع القوة والصور، وفي تفكيك أوهام الايديولوجيا، ووفي نقد الهويات القاتلة، والتحليل الدقيق لاستراتيجيات السلطة، كما للتواريخ الجديدة والسرديات البديلة))(٦٤). الكاتب يسعى الى الغوص العميق، والخطر في بنية العلاقات الاجتماعية السائدة في ظل، منْ ينتمي، ومنْ لا ينتمي إلى السلطة وليس الوطن، وما يخلقهُ ذلك التهميش، من شعور بالقمع، والقهر سلطوي.

ويأتي تداعي الحرب، للكشف عن السلوك الوحشي العنيف للحروب:((كنت أفكر ماذا نصنع نحن بمجاورة هذا الموت، لقد نسيت السلوك اللا اخلاقي للمعالج، وأخذت افكر بالماء والطعام الذي لا نفع له لميت... وكنت اتذكر ما يتحدث عنه أصدقائي الجنود في معتقلات الهاربين أثناء الحرب العراقية الايرانية، والذين كانوا يعدمون، على شكل وجبات، بأن الميت منهم– لسبب من الأسباب– لا يُحذف اسمه من القوائم إلاّ بعد يومين من موته، فهم ينجحون في استلام حصة المتوفّى، من جولة توزيع الطعام اليومية: لأنهم كانوا يرفعون يده مثل القراقوز، ليستلموا حصته من الطعام والماء... لحظات وأنا أنظر هذا الجندي الذي يُنازع وهو ينظرني بنظرات ضعيفة واهنة، تتضمن تلميحاً بالعتاب. وبرعشة قصيرة وعصبية توقف رأسه عن الحركة، إنه يقدم لكل المتخمين على الأرض من بعد موته فتات حياته، يفضح كل ما في الكون من سخف وعبثية... لم تكن سوى نتيجة هفوة بسيطة، هفوة من هفوات المعارك التي لا نهاية لها))(٦٥).

إن تداعي الذكريات، واستدعاء حوادث الماضي لها صلة وطيدة بالحاضر المعاش، والمكان له أثره المباشر في تحريك، واستدعاء الماضي عبرّ شعور الشخصية الناجية بالانفصال عن الوطن، وفقدان الرفاق، واختلال توزان الاستقرار والطمأنينة عنده، فيغدو التيه في الصحراء، كمرجع اشاري ممتلئ بدلالات متعددة، وحافزا على استجلاب الذكريات، لتجسيد الصراع النفسي الذي تكابده الشخصية الحربية. وما تثيره من صراعات بات يدركها المرء بوصفها مدمرة لكّل القيم.

أمّا، خطاب الحرب، خطاب ثابت غير متحول، متشابه في كل الأزمنة، والامكنة، تفرضه طبيعة الحرب نفسها، فهو خطاب الوحشية، والدموية، والقسوة لأجل البقاء، وإنقاذ الذات فقط. فهل لنا إنّ نستدل على إنّ الحروب، سبب رئيس في انبات الشعور بالعنف والقسوة في طبع الشخصية العراقية–كما يراها الكاتب–؟!. هذا ما سيجيب عنهُ العودة الى تأريخ الحروب في العراق.

العودة الى المورث:

التناص مع تأريخ يكشف عن أبعاد دلالية تعرب عن مصير المحتوم في ظل استمرارية الحروب التي تكشف واقعاً مأزوماً، للشخصية تحت ضغوطات عدّة، فيرصد الشخصية الراوية ذلك((وقبل أن تحط الطائرة بنا، كنت أشعر بصلوات النساء عبر النهر تحيي السنابل التي احنتها غارات العصافير، ومن بعيد، كانت بقايا خيام البدو... وفي المدى الممتد، كنت أرى أشهر الأثار القديمة منذ عهد الساميين، وقد غرقت في الرمال حتى النصف، وعند كل درب سفته الرمال هنالك بضعة جنود، سيظلون طريقهم، ولا يعودون، هنالك؛ حيث ستحرق نساؤهم–عند أعمد تيجان الحضارات القديمة المتفحمة– ملابسهم، وصورهم، لعلهم يعودون. منذ آلاف السنين، وهذه الشعائر لم تكنس من التاريخ جيدا... فاسمع نفير الأبواق الحربية المصنوعة من النحاس))(٦٦). والكاتب يتعمد التناص مع تأريخ حروب هذا البلد؛ ليصف الأبعاد الدلالية لخطاب العنف السائد في هذا البلد، إذ يبدو ارتباط هذا المكان بالحروب المستمرة، وها هو الراوي يسترجع التأريخ الآفل على الحروب((كانت بقايا خيام البدو وعنابرهم فارغة بيضاء مثل عيون الضرير، وفي المدى الممتد، كنت أرى أشهر الآثار القديمة من عهد الساميين، وقد غرقت في الرمال حتى النصف، وعند كل درب سفته الرمال هنالك بضعة جنود، سيظلون طريقهم، ولا يعودون، هناك؛ حيث ستحرق نساؤهم – عند أعمدة تيجان الحضارات القديمة المتفحمة–ملابسهم، وصورهم، لعلهم يعودون.

منذ آلاف السنين، وهذه الشعائر لم تكنس من التاريخ جيدا، كما لو كانت هذه الصحراء هي البشرى الأبدية لمهبط الوحي... –أما أنا– وفي الساعة التي يبرز فيها الفجر؛ فأسمع نفير الأبواق الحربية المصنوعة من النحاس)) (٦٧). ليتحول خطاب الحرب الى خطاب تأريخي ثقافي نسقي، ففي أطلال الحضارات الأولى في سومر القديمة، ظهر فعل العنف، المتولد من الحروب القائمة والصراعات المستمرة، مما خلق سلوك عدواني، مغروز في فرد هذه البيئة الممتد النمط، فطبيعتهُ مهيأة للسلوك العدواني، فهو نتاج نسق ثقافي، من الحروب، والصراعات، لأن للعنف الجماعي جذورا ثقافية عميقة، وصلة بالخصوصية الثقافية اوثق واعمق. وهنا يظهر العنف المفرط الذي يتمثل بالأفراد والجماعات على حد سواء(٦٨).

وهو منظور عقيم أيديولوجي، متخلف وجامد، لا ينسجم مع اطروحات خطاب التغيّر، والتقويض، فهو، يبرّر للقتلى، والطغاة فعل العنف، ويرفع عنهم تهمة الإدانة، غير إنّ هذا المنظور قد يكون له وجهته الصائبة والمؤيدة أيضاً، عندما يعجز التأريخ والفلسفات، والنظريات والأديان، عن فهم، وتحليل الدوافع الحقيقية، والمنطقية التي تستوجب قتل انسان تحت أي دافع، بدليل استمرارية هذا العنف بكلّ صوره وحالاته، الفردية والجماعية والدولية.

حرب الخليج الثانية: الإشارة اللازمة

لصور الحرب في أي مجتمع، وفي أي مرحلة زمنية، تأخذ الشكل الواحد الذي تخلفه في سائر المجتمعات، من: دمار، وفوضى، وخوف، وقلق مترقب، فهي حالة استثنائية، تغاير حالة السلام، وكلّ خطاب المعرفي، والفكري، والإنساني، خطاباً يقوضها، ويهدم صورها. ونجد حضور الحرب، لازمة إشارية، متكررة، وهيمنة على المتن الرواية، تستبق الأحداث، وتنذر بها.

نهضت الرواية من بدئها، على إشارة استباقية الى اعلان الحرب المصيرية المترقبة التي تنتظرهم قبالة صحراء، بينما جنود مهمة غارة الصحراء، وهم قبالة العدو الحقيقي، يرسلون في مهمة، لا علاقة لها بهذه الحرب الكبرى:((جاءتنا الأوامر فجر يوم من أيام يناير من العام١٩٩١ بعد أن التحقنا بالخنادق المتاخمة للحدود السعودية، بيومين فقط، وكانت الاستعدادات لحرب الخليج الثانية سريعة، ومكثفة، ذلك أن قوات التحالف–من الجهة المقابلة– كانت تستكمل استعداداتها للحرب، وكنا نحن–من طرفنا– نشيد الخنادق الدفاعية في الخطوط المقابلة لحفر الباطن؛ أي من الجهة الأخرى من الحدود... كان الحرس يتأهبون، ببنادقهم، كما لو كانوا يرصدون الليل من فوق هضبة، مصغيين الى الهمهمات التي تحملها الرياح، والى البرد الذي يأتي من الصحراء، يحمل معه الخفافيش التي تطير في الظلمة))(٦٩). فتبدو مفارقة غرائبية، وساخرة أيضاً، إن ينشغل الجيش بمجموعة من قطاع الطرق من البدو، وهم على اعتاب حرب مصيرية، وصعبة، إلاّ إذا كان الكاتب يعمل على الكناية والرمز أو التناص –ربما–. إذ تبدو المقاربة جلية، بين، قوات التحالف الدولي بقيادة أمريكا، والجيش العراقي. من جهة، ومن جهة أخرى، فصيل غارة الصحراء، وجساس ورفاقه. وكلاهما يخوضان معركة مصيرية، هزيمة أحدهما، تعني بقاء الآخر. مثلما، إن المعركتين دارت في الصحراء، وسببها اجتياح المكان، فالعراق اجتاح الكويت، فكان ردُّ قوات التحالف عليه بإعلان عليه الحرب. وفصيل غارة الصحراء اجتاح صحراء البدو، فكان ردّ جساس ورفاقه عليهم بإعلان الموت. أي بما معناه، إنّ جساس يعادل قوات التحالف، فاين وجه الشبه بينهما؟!، وهو، البدائي بكلّ شيء، مع قلة نفوذه. و((يصبح المكان عدواً حين نجهله، ونهمل تفاصيله، أو تغيب عنا، فهو يرتبط بحرية الانسان في علاقة جدلية... يشكل المكان في رواية ركنا أساسيا تقوم عليه العملية السردية؛ إذ يعكس الابعاد النفسية والأيديولوجية والاجتماعية والثقافية)) (٧٠) . فهل نحن أمام حالة من وجه الشبه، بين الجيش العراقي لمواجهة دول الحلفاء، وفصيل غارة الصحراء لمواجهة جساس ورفاقه، حتى في اسم المعركة (عاصفة الصحراء، وغارة الصحراء)، فالمقاربة بين المعركتين أو الطرفين، مقاربة رمزية تحمل دلالاتها المضمرة التي يمكن فك شفرتها. وهي، ادانة عنف السلطة المتجسدة بالنظام العراقي السابق بوصفه معتدي على جيرانهِ(الكويت، البدو). في ضوء حرب مفتعلة، وغير مبررة.

مثلما يأتي السرد والوصف منسجمين في رسم أبعاد القلق والخوف الذي يسيطر على الجيش العراقي في معركة أقل ما فيها النجاة اشبه بسراب في الصحراء، مما يشي إنّ عملية خوض الحروب معادلة خارج رغبات الجنود، ويدلّ على رفضهم الضمني، والصريح، لخوض أي حرب تحت أي مسمى شرعي أو غير شرعي أيضاً. لهذاّ فالكاتب يصر على تأكيد وتكرار رسم صورة شجية لحالة الجنود، وهم يترقبون، دق طبول الحرب:((لم نكن نسمع بالليل غير جنازير دباباتنا وقعقعة السلاح، وكان ثمة جنود جدد، اربكتهم ملابسهم الكاكية، ورشاشاتهم. يتكومون في عنابر الثكنات حول فتيلة نار ذاويه، كانوا يشعلون سجائرهم منها، يدخنون في الظلام، ولم نكن نرى منهم غير اشتعال جمرات السجائر، في الافواه، والدخان الأبيض المتصاعد؛ حيث تطويه هبات هواء متتالية... كانت الريح تهبّ من جهة الشرق. وكان جنود الثكنة يحتمون، بالخيام القلية، ويتدثرون ببطانيات مخططة، من الصوف، إنهم ينتظرون ساعة الصفر، بيد أنها لا تأتي أبدا، وعند سياج العنابر، كان الحرس يتأهبون، ببنادقهم، كما لو كانوا يرصدون الليل من فوق هضبة. مصغين الى الهممات التي تحملها الريح، والى البرد الذي يأتي من الصحراء، يحمل معه الخفافيش التي تطير في الظلمة وتجن صائحة))(٧١). فأجواء الحرب استثنائية، اشبه بطقس وداع للحياة ((يكون الطابع غير الاعتيادي لتجربة الحرب هو ما يدفع بالارتباطات العاطفية نحو الصدارة. إذ تولد الحرب أوضاعا طويلة الأمد تهدد الحياة حيث المشقة والظروف القاسية تجعل أسئلة الحياة والموت يومية إن لم تكن كل ساعة))(٧٢) .

مثلما يكرر حالة انتظار الحرب المصيرية، ويأتي هذا التكرار أو التذكير، وصفاً، للموت الذي ينتظرهم((أينما وجهت نظرك ترى التأهب للحرب والاستنفار واضحا، أما من الجهة الأخرى–أي في الصحراء–؛ فهنالك قافلة جمال، تسير غير آبهة بهذا التاريخ الذي يتكون في المعسكر... أما الخيام؛ فهي تنأى مثل حوامات تائهة عن مراكز الحروب والإمبراطوريات، وتقع بالتقابل والتناقض التام مع تاريخ آخر عند جنود الثكنة، الجنود الذين يتأهبون للحرب وللهجوم المباغت من قبل طائرات الحلفاء)) (٧٣) . في مقارنة بين العنف، والفوضى الذي ستخلفهُ هذه الحرب، والجمال، والسلام الذي يسكن هذه الصحراء، اللا مبالية بأنواط الشجاعة، وشعارات الفخر، والشجاعة. فـ((مظاهر الإماتة والفتك في مجمل مظاهر الحياة اليومية، وهو ما أثر على المشهد السردي الذي صار تحت طائلة الدمار والقتل الشنيع، مما شكل حالة من الاضطرابات النفسية والاجتماعية لم تندمل بعد، ولم تلتحم علامات معافاته من صدمة ما حدث. وما زال يحدث بشكل تراجيدي... شخصت مصير الواقع بشكل دراماتيكي))(٧٤) . فالكاتب ينتصر لخطاب لحب والسلام، ويقوض خطاب عنف الحروب. عبرَ الصورة الوصفية المغايرة بين الجيش العراقي، والبدو:((ومع الفجر، سمعت صوت طائرات الحلفاء المغيرة على بغداد... كيف يفهم البدوي هذا الصوت المرعب... أخذت اتحدث لهم مثل اي جندي من جنود كتيبة المغاوير الثالثة والعشرين:

– هل تعرفون أن هذه الطائرات هي طائرات اميركية.... ماذا بكم.. تضحكون؟ ألا تهمكم الحرب؟ بلى تهمنا.. تهمنا الحرب بين بني جدلة وبني جابر... كل صحراء الحروب. لا اتحدث عن هذه الحروب.. أنا اتحدث عن حرب الوطن... لا يهمهم هذا التاريخ البعيد عنهم))(٧٥) . لنفهم من هذا الدلالات المبثوثة، وصف شعور البدو، بأنهم خارج عن هوية هذا الوطن، ونفهم من هذا موقف جساس العدواني والعنف تجاه الجنود أيضاً، بمعنى، أنه كان يدافع عن انتهاك واجتياح، وطنه الصحراء. فخطاب عنفه مشروع ومبرر.

الخاتمة:

تجسّد الخطاب الواصف للعنف في رواية ملوك الرمال، خطاباً تنويرياً، معرفياً، يقوض ويهدم خطاب العنف، والموت، والحرب، بوصفه حالةً منبوذة تخرب العلاقات الإنسانية الى حدّ ارتدادها على الشخص نفسهِ، فيغدو جزءاً من سلوكه، ونمطه، وعلاقتهِ، عبرَ رصد تأريخ الحروب، بين الماضي والحاضر، والمستقبل أيضاً؛ مستمرة، وحتمية؛ لأنها موروث ثقافي – وفق منظور الكاتب– .

رسم الخطاب الواصف لأبعاد تمثلات العنف، عبر صوره مرئية ومجازية، جاءت متتابعة، بين تمظهرات العنف في:

وصف مشروعية العنف، ولا مشروعيته، وصور الموت عبرَ الذبح، والموت، ومحور تداعيات الحرب، بين ذكريات، وعودة لتاريخ، واشارات استباقية متكررة .

قامت الرواية على فضاء المكان الصحراوي، مكان البدو، بأحداثها كلها. والشخصية الراوية رصد تفاصيل المكان بجماليته وقبحيه، ويبدو انتهاك مكان البدو احد عوامل المهمة في تشكيل العناصر السردية، عبّر تقنية الاسترجاع والشخصية المشاركة في الحدث/ الساردة، مما يضفي اعادة قراءة الواقع أو تعديله أو اضفاء رؤية جديدة عبر المسافة البؤرية، لواقع اجتماعي سياسي، وبيئة مكانية مغايرة. ليخلق الكاتب عبّر لغته وأسلوبه السردي واقعا متخيلا. وللحربِ منطقُها. بدا المكان الصحراء مع كونه مكاناً، مفتوحاً إلاّ إنه سلبي، وعنيف، تجاه الجنود فقط. فكان مبعث الإحساس بالخوف، وفقدان الامن بسبب جهلهم بالمكان. مما اكسبهُ، طابعاً عدائياً، خلا من الإحساس بالألفة والأمان، مع انفتاحه.

الهوامش:

١ – ينظر: المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس.
٢ – كتاب العين، الفراهيدي، ط١: ٥٨٦.
٣ – المصباح المنير، أحمد الفيومي: ١٦٤.
٤ – ينظر: مصطلحات القانون الجنائي، سعد إبراهيم الاعظمي: ٦٥.
٥ – العنف في السرد التشكيلي، م.د محمد عبيد ناصر: ٧٢.
٦ – الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، الشريف حبيلة: ١١.
٧ – العنف والعدالة، نصوص فلسفية مختارة، افريقيا الشرق: ١١.
٨ – ينظر: خطاب العنف في رواية كتاب الاسرار لإبراهيم سعدي، نادية كبدي: ٣٠٤.
٩ – ينظر: العنف من الطبيعة الى الثقافة، احمد حسن ابراهيم: ٢٧.
١٠ – ينظر: مقال العدوانية الإنسانية مفهوما واشكالية: مقاربة سوسيولوجية،علي اسعد وطفة. التنويرية،٩يونيو ٢٠٢٣.
١١ – العدوانية المؤذية والعدوانية غير المؤذية، ايريك فروم، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع٨٤: ٣٧.
١٢ – ينظر: مقال تشريح، لميس علي، صحيفة الثورة ٢٤اكتوبر ٢٠١٨.
١٣ – ينظر: خطاب العنف في رواية كتاب الاسرار لإبراهيم سعدي، نادية كبدي: ٣٠٥.
١٤ – ينظر: سالم القمودي، سيكولوجيا السلطة: ٦٤، ٧٠.
١٥ – ينظر: ينظر سيكولوجيا السلطة : ٢٢.
١٦_ ملوك الرمال، علي بدر: ٢٠.
١٧ – ملوك الرمال: ٢١–٢٢.
١٨ – ينظر: سيكولوجيا السلطة، سالم القمودي: ٦٤ ، ٧٠.
١٩ – ملوك الرمال: ١٩.
٢٠ – ينظر: العنف في الروايات الديتسوبية العربية والانجليزية: روايتي عطارة، وبرتقالة ميكانيكة أنموذجا، علاوي السراي: ١٠–١٩.
٢١ – ينظر: سيكولوجيا السلطة: ٥٥.
٢٢ – ينظر: تقديم كتاب الذات عينها كآخر، بول ريكور، د. جورج زيناتي: ١٣.
٢٣ – فضاء العنف في الرواية العربية الجديدة، أ.د. عبد القادر فيدوح: ١.
٢٤ – ملوك الرمال: ٢٠.
٢٥ – خطاب العنف في رواية كتاب الأسرار لإبراهيم سعدي، المدونة، نادية كبدي، أ.د. بروان محمد الصادق: ٣٠٨.
٢٦ – ينظر: صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش: ٣٨.
٢٧ – المكان وتشكلات العنف في رواية بثينة العيسى خرائط التيه،د. دلال بنت بندر المالكي: ١٩.
٢٨ – صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش: ٨٠.
٢٩ – ملوك الرمال: ٨٥.
٣٠ – العنف في رواية اخوة محمد لميسلون هادي، م.د. زينب عبد الرضا علي: ٣٨٠.
٣١ – ينظر: صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش: ١٥٣–١٥٤.
٣٢ – ملوك الرمال: ١٠٨.
٣٣ – ملوك الرمال: ١٠٢.

٣٤ – المكان وتشكلات العنف في رواية بثينة العيسى خرائط التيه،د. دلال بنت بندر المالكي: ٤٢–٤٣ .
٣٥ – العنف في السرد التشكيلي،م.د محمد عبيد ناصر: ٧٤.
٣٦ – العنف في رواية اخوة محمد لميسلون هادي، م.د. زينب عبد الرضا علي: ٣٨٠.
٣٧ – خطاب العنف اللفظي: من الشفهية الى الرقمية، دراسة حجاجية، منير حمدوشي: ١١٥ .
٣٨ – ملوك الرمال: ٦٩–٧٠.
٣٩ – ثيمة العنف في رواية حرب القبور لمحمد ساري، لقراف سلمى. وصالحي فتيحة: ١٨ .
٤٠ – ينظر: العنف في الروايات الديتسوبية العربية والانجليزية ، علاوي السراي : ١٠٢١ .
٤١ – ملوك الرمال: ٨٦–٨٧.
٤٢ – العدوانية المؤذية والعدوانية غير المؤذية، ايريك فروم: ٣٧.
٤٣ – خطاب العنف في رواية كتاب الاسرار، لابرهيم سعدي، المدونة، نادية كبدي، أ.د. بروان محمد الصادق : ٣٠٣
٤٤ – ينظر: معجم السرديات، محمد القاضي : ٥٢ .
٤٥ – ينظر: العنف في الروايات الديتسوبية العربية والانجليزية: علاوي السراي : ١٠٢٢ .
٤٦ – خطاب العنف في رواية كتاب الاسرار، لإبراهيم سعدي،، نادية كبدي، أ.د. بروان محمد الصادق : ٣٠٥
٤٧ – قلق الموت، أحمد عبد الخالق: ٧.
٤٨ – ملوك الرمال: ٦٩–٧٠.
٤٩ – ينظر: صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش، ت: عومرية سلطاني: ٤٣ .
٥٠ – ينظر: الخطاب والسلطة، تون فان دايك، ت: غيداء العلي: ٣٧.
٥١ – ينظر: معجم السرديات، محمد القاضي : ٥٢ .
٥٢ – ملوك الرمال: ٨٩.
٥٣ – ملوك الرمال: ١٠٠–١٠١ .
٥٤ – صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش: ١١١ .
٥٥ – ينظر: صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش، ت: عومرية سلطاني: ٤٠ .
٥٦ – فضاء العنف في الرواية العربية الجديدة، أ.د. عبد القادر فيدوح: ١ .
٥٧ – فضاء العنف في الرواية العربية الجديدة، أ.د. عبد القادر فيدوح: ١٣ .
٥٨ – لماذا الحرب؟ مناظرة بين اينشاين وفرويد، نادر كاظم: ٧.
٥٩ – ينظر: الرواية اللبنانية والحرب، مجلة نزوى ا ابريل ٢٠١٢ .
٦٠ – ملوك الرمال: ٣٥.
٦١ – ينظر: فضاء العنف في الرواية العربية الجديدة، أ.د. عبد القادر فيدوح: ١٣ .
٦٢ – ملوك الرمال: ٢٥ .
٦٣ – ملوك الرمال : ٥٩ .
٦٤ – الرواية السياسية، نقدها : محمد عطية: ٤٠ .
٦٥ – ملوك الرمال: ٦٥ .
٦٦ – ملوك الرمال: ١٦ .
٦٧ – ملوك الرمال: ١٦
٦٨ – ينظر: صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش: ١١٧ .
٦٩ – ملوك الرمال: ٩–١٠ .
٧٠ – المكان وتشكلات العنف في رواية بثينة العيسى خرائط التيه،د. دلال بنت بندر المالكي: ٢٠ .
٧١ – ملوك الرمال: ٩ .
٧٢ – صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش: ٢٢٣ .

٧٣ – ملوك الرمال: ١٨ .

٧٤ – فضاء العنف في الرواية العربية الجديدة، أ.د. عبد القادر فيدوح: ١٢ .

٧٥ – ملوك الرمال: ١٤٨–١٤٩ .

المصادر والمراجع:

- تقديم كتاب الذات عينها كآخر، بول ريكور، جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط١ .
- الخطاب والسلطة، توين فان دايك، ت: غيداء العلي، المركز القومي للترجمة–ط١، ٢٠١٤ .
- الرواية والعنف دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة، الشريف حبيلة، أربد عالم الكتب الحديثة، ط١، ٢٠١٠ .
- سيكولوجيا السلطة، سالم القمودي، الانتشار العربي، بيروت، ط ، ٢٠٠٠ .
- صعود الوحشية المنظمة، سوسيولوجيا تاريخية للعنف، سينيشا مالشيفيش، ت: عومرية سلطاني
- العنف من الطبيعة الى الثقافة، احمد حسن ابراهيم، دمشق– ٢٠٠٩ .
- العنف والعدالة، نصوص فلسفية مختارة، افريقيا الشرق، ٢٠١٣ .
- لماذا الحرب؟ مناظرة بين اينشاين وفرويد، نادر كاظم، منشورات تكوين– الكويت ٢٠١٨ .
- المصباح المنير، أحمد الفيومي، مكتبة لبنان ناشرون، ٢٠٠١ .
- مصطلحات القانون الجنائي، سعد إبراهيم الاعظمي، دار الشرع الثقافية– بغداد، ج١–ط١– ٢٠٠٢ .
- معجم السرديات، محمد القاضي
- معجم العين، الفراهيدي، ط١ ، مكتبة لبنان ناشرون.
- المعجم الوسيط، إبراهيم أنيس، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط٢– بدون تاريخ.
- ملوك الرمال، علي بدر، منشورات المتوسط، ط ٤، ٢٠١٦ .

البحوث والمجلات

- خطاب العنف اللفظي: من الشفهية الى الرقمية، دراسة حجاجية، منير حمدوشي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية الجديدة، ع٤ ٢٠٢٤ .
- خطاب العنف في رواية كتاب الاسرار لإبراهيم سعدي، نادية كبدي،المدونة، مج١٠، ع٢، ٢٠٢٣
- الرواية اللبنانية والحرب، مجلة نزوى ا ابريل ٢٠١٢ .
- العدوانية المؤذية والعدوانية غير المؤذية، ايريك فروم، مجلة الفكر العربي المعاصر، ع٨٤ .
- العنف في الروايات الديتسوبية العربية والانجليزية: روايتي عطارة، وبرتقالة ميكانيكة أنموذجا، علاوي السراي، مج١٧، ع١، جزء ١، ٢٠٢٥ .
- العنف في السرد التشكيلي،م.د محمد عبيد ناصر،، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، عدد خاص بالمؤتمر العلمي الثاني الإلكتروني لكلية الفنون الجميلة– جامعة القادسية، مج٢٤– ع٢–٣، ٢٠٢١ .
- العنف في رواية اخوة محمد لميسلون هادي، م.د. زينب عبد الرضا علي، مجلة آداب المستنصرية/ اللسانيات، ع١٠٨ .
- فضاء العنف في الرواية العربية الجديدة، أ.د. عبد القادر فيدوح، مجلة أبوليوس،مج٥، ع٩، ٢١٠٨
- قلق الموت، أحمد عبد الخالق/ عالم المعرفة، ط١– الكويت ١٩٨٧ .
- مقال العدوانية الإنسانية مفهوما واشكالية: مقاربة سوسيولوجية،علي اسعد وطفة. التنويرية،٩يونيو ٢٠٠٣
- مقال تشريح، لميس علي، صحيفة الثورة ٢٤أكتوبر ،٢٠١٨ .

الرسائل والإطاريح

- ثيمة العنف في رواية حرب القبور لمحمد ساري، رسالة ماجستير : لقراف سلمى. وصالحي فتيحة، جامعة محمد بوضياف، ٢٠٢١– ٢٠٢١ .

Al-Thakawat Al-Biedh Maga-

Website address
White Males Magazine
Republic of Iraq
Baghdad / Bab Al-Muadham
Opposite the Ministry of Health
Department of Research and Studies
Communications
managing editor
07739183761
P.O. Box: 33001
International standard number
ISSN 2786-1763
Deposit number
In the House of Books and Documents
(1125)
For the year 2021
e-mail
Email
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية
العدد (١٨) السنة الخامسة رمضان ١٤٤٧ هـ آذار٢٠٢٦م

general supervisor

Ammar Musa Taher Al Musawi

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon